

تعقيبات ...

للاستاذ عباس حسان خضر

—>>><<<—

أعزاء المرأة :

منذ سنين أطلق بعض الروّاجين للأستاذ توفيق الحكيم عليه لقب (عدو المرأة) ، واتخذت المجلات الشعبية هذا اللقب مادة للتندر فيما يتصل به ، وطاب ذلك للأستاذ نفسه ، فأكثر في كتاباته مما يثبت به ويستبره بين الناس ، وكان بين الناس ، ولم يزل بينهم ، من يتساءل عن معنى هذه المداوة . وأكثروا هؤلاء المسائلون تساؤلهم لما رأوا أخيراً الدكتور زكي مبارك يملن بنفسه في مجلة (مسامرات الجيب) أنه عدو المرأة ، ويتبع ذلك بحملة عشواء ... يملو فيها مثار النقع ، وتنجلي غمراتها عن هزيمة الجنس الناعم أمام أسلحة الشتام التي جرد منها بالتحقيف والتهذيب ، واتخذها بعض الرجال أداة لحربه ...

ويعجب المشاهدون لهذه المماح من هؤلاء (الأبطال) الذين يريدون أن يمكروا صفو المودة بين الجنسين التي هي من آيات الله التي جعل لنا من أنفسنا أزواجاً لنسكن إليهم وجعل بيننا مودة ورحمة ؛ ويعجبون أشد العجب لتحقير اللاتي هن من أنفسنا ونحن منهن ولا يحق لهن إلا الكرامة والإعزاز

ويقول السائلون عن معنى تلك المداوة : أهي عداوة جنسية بحيث يدعواؤك للغاوير سائر الرجال إلى حرب النساء ، ويضطر النساء إلى المقاومة ، فيقف الجنسان في الميدان صفيين على رأس أحدهما توفيق الحكيم وزكي مبارك ... ؟

قائلاً يكاد يلتهب إفرأيا الوز واقفاً على رجل رجل .
فقال جحا :

أرايت صدق ما أقول
فأسرع صاحبه إلى الوز وهشّه ، فجرت كل وزه على ساقها فقال له :

أرايت الآن لكل وزّة ساقين ؟

فقال جحا متبهاً لها :

آه ! لقد ذبحتها بإصباح من غير أن أقول لها هش !

ما الرجل ؟ وما المرأة ؟ أليسا نصفي شيء واحد هو الإنسان ؟ وهل يستطيع هذا الإنسان أن يتحرك إذا شل نصفه ؟

إن الرجل ليس رجلاً إلا لأن هناك امرأة ، فهما متقابلان لا وجود لأحدهما دون الآخر ، وليست المرأة إلا شريكاً للرجل له قيمته ، وليس من الرجولة أن تنقصه وتنكر له !

فإذا كان من يتسمون أعداء المرأة يريدون أن يحاربوا عيوباً تنصف بها ، وتقائص جرت أو طرأت عليها ، فليس السبيل إلى ذلك إيذاء شعور الكرائم وجرح نفوسهن بتلك المهارات ، إنما السبيل هو الذي يملكه ذوو الأبواب من التنديد بالنقائص والعيوب والسعوى إلى نبذها والتجمل بأضدادها ، كما يصنع الأستاذان الطنطاوي وسيد قطب في « الرسالة » الزاهرة

وليس للرجل أن يميم المرأة — من حيث هي امرأة — لنقائص في جنسها ، أولأن أفراداً منه حادوا عن الجادة ، فالرجال في ذلك كالنساء ، بل إن من الرجال من لا تستطيع أشد النساء إيماناً في الخزي أن تبلغ شأوه في هذا المضمار ، وهم التشبهون بها ... ومن يتخذونهم بدلاً منها ... ومع ذلك لم نسمع أن امرأة نودى بها أو نادى بنفسها عدوة للرجل ... !

فعداوة الجنس برمتها لا موضوع لها إلا أن يكون القصد منها الترويج والنهريج والتظاهر بأعجب البطولات !
رؤياً لم قصص :

رأى أحد الأشرار في نومه أنه قتل رجلاً ، ولم يستطع الفرار ، فوقع في يد الشرطة ، وقدم إلى المحاكمة . وحكم عليه بالإعدام ، وحل وقت التنفيذ ، وأتى به إلى الشنقة ؛ وبينما كان الرجل ساجداً بفكره في رؤياه دخلت زوجته لتوقفه ، وفي اللحظة التي وصل فيها إلى أن كان الجلاذ يمدُّ له حبل الشنقة — لمست يد زوجها عنقه ، فقامت هذه المسة مقام الجبل في التأثير في الرجل ... ففاضت روحه .

مهلاً قارىء « الرسالة » ، فإنا أعرف فطنتك ، وما يقاس ذكاء مثلك بمثل هذه الحكاية ، فلا إخالك إلا سائلاً : وكيف عُرف أن الرجل رأى هذه الرؤيا وقد اتصل نومه بالموت فلم يقص رؤياه على أحد . ؟ !

وبعد ، فقد قرأت قصة (قطر الندى) للصديق الكريم الأستاذ محمد سعيد الريان التي ظهرت في سلسلة (اقرأ) ، وهي

بكثرة العمل مشغول بأسباب معاشه في عصر كثرت فيه الطالب والتنفقات ، وقد أفاض الأستاذ في هذه النقطة فأ نصف العلم ودعا الدولة إلى رعايته وتقديره

وتلك أسباب لضعف الطلبة في جميع المواد لا في اللغة العربية وحدها ، ويظهر أن الكتاب ، لتبرهنهم على اللغة العربية وتشبههم بحبها ، يقصرون الكلام عليها حينما يتعرضون لشئون التعليم من حيث انخفاض المستوى العلمي للطلبة مع أنه يكاد يكون على سواء في جميع المواد

أما كلام الأستاذ في المنهج ، فقد تضمن ما يخالفه فيه ، عاب معالجة المنهج المشحون بالحذف والتبسيط ، ولكنه لم يقل بمعالج ، فن المعلوم أن ازدحام المنهج بالمواد يتخيم الطالب ويعسر عليه هضم المعلومات ، فبمعالج إن لم يكن بنقصه وتسهيل صعبه ؟ وحمل على التبسيط فقال : « واقد عمت موجة التبسيط كل مقومات اللغة ، فتناوت اللفظ والأسلوب والصرف والنحو والبلاغة والأدب ، فبدت اللغة العربية لذهن الطالب بعد ذلك التبسيط شجرة جرداء مقلدة الفروع جافة الغصون » . وقال : « إن هذا التبسيط يبعد الطالب عن الأساليب القديمة البليغة » . إلى أن قال : « وأعجب العجب ما قرأناه أخيراً من أن أستاذاً في الجامعة يعلى على تلامذته تفسير القرآن باللغة العامية »

والذي أراه أن أستاذ الجامعة يسف في التسهيل والتقريب ، والأستاذ عادل النضبان يوغل في البعد عن مدارك التلاميذ ، ومن أسس التربية المفروغ منها وجوب البدء بالسهل ثم الانتقال منه إلى الصعب ثم إلى الأصعب ، ولكن الأستاذ عادل يريد أن يصدم الأذهان الغضة بالأساليب القديمة البليغة ، وأستاذ الجامعة ينتهي بالجامعيين إلى ما هو دون ما يجب أن يبدأ به ، فالتلميذ يبدأ في السنة الأولى الابتدائية بالمادة العربية وينتهي في الجامعة بالبلاغة العامية .. !

ويقال الأستاذ عادل في بيان قيمة القواعد ويرى الإكثار منها في المدارس ، ولم يول اللغة نفسها أى الكلام العربي شيئاً من الاهتمام مع أنه هو الغاية المنشودة ، والأجدى في الوصول إلى هذه الغاية أن نعرض الكلام نفسه مكوناً مركباً على الناشئ ، بمختلف الوسائل ، ليدركه ويتذوقه وينطبع مثاله في ذهنه ، قبل أن نحشوه بتلك القواعد التي تحلل الكلام وتفككه . وبهذا نحقق فائدتين : الأولى تكون ملكة لغوية يقتدر بها

قصة ممتعة جلاًها أسلوب المريان الطلي وحلاًها براعته الفنية ، ولكنى وقفت فيها عند رؤيا لم تنقص ... لست أدري كيف عرفها الأستاذ المريان ؟ !

ذلك أن (أم آسية) حاضنة قطر الندى بنت خنارويه بن أحمد ابن طولون — رأت ذات ليلة أنها في قصر عظيم تزف فيه قطر الندى بنت ملك الغرب (خنارويه) إلى ملك الشرق (الخليفة العباسي) ، وكأنها (أم آسية) أم العريس ، وقد أفسحوا لها حتى دخلت إلى دار الحرم فشاهدت قطر الندى جالسة على سريرها ... وحملها أريج البخور على جناحين من لهب إلى السماوات ، فسا تنبث إلا على صائح بصيح .. !

وقصت رؤياها على سيدها خنارويه راجية منه أن تكون ماشطة الأميرة يوم زفافها ... ثم كبرت الأميرة ... وهيئت للزفاف إلى المعتضد ، وسار ركب المروس من مصر إلى العراق . وفي بعض منازل الطريق نامت أم آسية ماشطة المروس ذات ليلة ، فرأت تمام الرؤيا التي بدأتها في منامها منذ سنتين ... حملها الأريج إلى السماوات ، وسمعت هذه المرة صيحة الصائح ... عرفته وفهمت عنه رسول من مصر يهتف بنياً صرّوع ... قال الأستاذ : « وطوت صدرها على السر فلم تكشف لأحد عن خبره » . وقال : « واشتد بها الوجع ذات ليلة في بعض منازل الطريق ، وأصبحت ميتة لم تكشف عن سرها ولم تتحدث إلى أحد برؤياها ! » وعرفنا من حوادث القصة بعد ذلك أن تمام الرؤيا قد تحقق كما تحققت بدايتها ، إذ كان النبا المروع أن غلمان خنارويه وثبوا عليه فقتلوه !

ولا أشك في أنك الآن مشارك المعجب من معرفة الأستاذ المريان رؤيا أم آسية الثانية وهي لم تتحدث إلى أحد بها ! اللهم إلا أن يكون قد رأى أم آسية في نومه فأفضت إليه بالسر الذي طوته حقاً من الدهر ... ؟

في تعليم اللغة العربية :

كتب الأستاذ عادل النضبان في مجلة الكتاب الصادرة في أكتوبر الفاتت مقالاً بعنوان « اللغة العربية بين المعلم والطالب » بين فيه ما رآه من أسباب ضعف الناشئة في اللغة العربية ، ووزع التبعة في ذلك بين الطالب والعلم والمنهج ، فالطالب منصرف عن الدرس مقبل على مطالعة صحف التمتع والتسلية ، والمعلم مرهق